الخطيب) القائل(١١٥) « ... اني لا أشك بشباب عربي يوافق احدا على بيع بلاده ... فليعلم الصهيونيون وغيرهم بأن في عاصمة الملك مئات عديدة روحهم مـن روح نجيب نصار ... وان كان من الممكن اقناع نجيب نصار بالاتفاق مع الصهيونيين ، فمن المحال تغرير ابناء اليوم ورجال المستقبل أن يأتوا بمثل هذه الخيانة العظيمة » .

مهما كان صدق هذا النفي فالمفاوضات كانت جارية، وطرحت عروض صهيونية في جريدة المقطم علنا ، وفتح حوار مع أقطاب حزب اللامركزية حول امكانية التفاهم . وتوجـه صاحب الكرمل في ١٧ ابريل ١٩١٤ بسؤال الى « كتبة الصهيونيين المتموهين الذين ... يقولون ان الصهيونيين قرروا ان يتفقوا مع العرب ... » . كيف يوفقون بين هـذه الاقوال وأقوال كتبتهم وأعمالهم في فلسطين . ويضيف « ... هل تريدون الاتفـاق لتسلبونا وطننا وثروتنا وتؤسسوا أمة وملكا لكم ... » ويعتب على جريدة كبيرة كالمقطم « كيف تقبل نشر التمويهات التي لا نشك بأنها لا تنطلي على العالمين الكبيرين ، والوطنيين العظيمين ، نمر وحروف » . وينتهزها فرصة للوم المواطنين(١١٦) « ... لو كان لكم رأي عام لما رضيت جريدة كالمقطم ـ ولو حياء من الرأي العام ـ ان تنشر تمويهات ... بأن الصهيونيين يريدون الامتزاج بالعرب والاختلاط بهـم ... وأنتم تعلمون ماذا يعمـل الصهيونيون في بلادكم وأصحاب المقطم اعلم منكم بذلك ... » .

وبلغت ثورة نصار أوجها في رده على اقتراح صهيوني بعقد مؤتمـر مشترك بين زعماء العرب والصهيونيين للتوصل الى اتفاق يرضي الطرفين ، ووعد رفيق العظم (رئيس اللامركزية) ببذل المساعي لدى (سراة) البلاد الفلسطينية لينتخبوا مندوبيهم . بدأ نصار بمهاجمة المقطم(١١٧) « ... على رغم كون صبيان الازقة مـا عادوا يجهلون مطامـع الصهيونية ومراميها ، فالمقطم لا يزال ينشر لمن تسميهم زعماء الصهيونية أقوالا تمويهية المقصود منها ذر الرماد في الاعين بأن الصهيونيين يريدون الاتفاق مع العرب وانهـم مخلصون للعرب والدولة ... » ثم يوجه الهجوم الى رفيق العظم متهما اياه بأنه سمع بخطر الصهيونية ولكنه لم يقرأ عنها ، ولم يتبين من أعمالها شيئا كثيرا « ... فكيف اذن يمكن الاتفاق مع قوم أجانب ... يعملون على نزع وطن العرب من أيديهم واقامة وطن وملك لهم فيه ... » اما عن السعي لدى سراة فلسطين ليعينوا مندوبهم في المؤتمر فيقول نصار « ... لو علم الزعيم ان مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها أكثر مما تأتيها من الصهيونيين ، لان هؤلاء هم سماسرة الصهيونيين والبياعين لهم ، لما قال ان لجنة الحزب تسعى لدى السراة ... »(١١٨). لقد رأى نصار ان الشبيبة وحدها هي التي تدرك خطر الصهيونية وهي « التي ينبغي ان تفاوض في أمرها اذا كان يروق لها المفاوضة على وطنها ... » انه يدعو لجنة حزب اللامركزية أن تخرج الى حيز التنفيذ الوسائل الكفيلة بانقاذ الوطن فتكسب ثقة الشبيبة السورية « فالاحزاب خلقت لتعمل وتخـدم مصالح الشعب لا لتقول ... »(١١٩). ومع ان قضية الاتفاق العربي الصهيوني قد سكت عنها في الصحافة العربية ، الا أن المساعي من أجل هذا الاتفاق استمرت في الخفاء(١٢٠). وعجز الرأي العام عن ملاحقتها في حين كان الموقف العربي في فلسطين قد بدأ يتحول في غير صالح الاتفاق ، فأعمال الصهيونيين كانت تناقض دعواهم بالتقارب ، وتيارهم كان مندفعا بشدة الى الامام .

وفي أثناء دعوة نصار للبحث عن الاساليب الذاتية المنظمة لمواجهة الخطر ، دخل في جدل صحفي مع الفيلسوف شبلي شميل . فقد تقدم شميل للبحث عن حل لمواجهة الخطـر الصهيوني في مقال نشرته له المقطم تحت عنوان « عمروا واستعمروا فالارض ميراث المجتهد ... »(١٢١) ورأى أن يثبت هذه الحقيقة العمرانية : ان الانسـان وجد على الارض لتعميرها لا لتخريبها ، وان حجتنا على الصهيونيين انهم دخلاء يعتدون علينا حجة واهية كبكاء الاطفال ، وبالقيام عليهم بالقوة نجني على العمران . الحل بنظره ان نتذرع